الإعلام والاتصال السياسي في ضوء النقوش الأثرية في عصر الأسرة العلوية

"دراسة في المضمون"

"رؤية جديدة"

أ.د/سحر محمد القطري•

الملخص:

الإعلام هو التبليغ والإبلاغ أي الإيصال بل يمكن أن نعرف الإعلام بكونه كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار والمعلومات عن مجريات الأمور وتتضمن عملية الاتصال عناصر أساسية هى المرسل والرسالة والوسيلة والمستقبل ورجع الصدى.

أما المرسل فهو مصدر الرسالة الإعلامية والرسالة هى الشكل والمضمون والوسيلة هى الطريقة التي تمت بها نقل الرسالة التي قد تكون مقروءة أو مسموعة.

أما المستقبل فقد يكون فرداً أو مجموعات أو جماهير وطن بأكمله ورجع الصدى هو ردود الفعل نتيجة استقبال الرسالة الاتصالية ذاتها.

والإعلام والاتصال السياسي ظاهرة اجتماعية نشأت مع ظهور التجمعات الإنسانية الأولى وذلك استناداً على العلاقة بين اللغة والسياسة فاللغة دائماً وأبداً لسان السياسة والقناة التي تحمل أفكارها وتحقق مقاصدها في الشعب بل هى من أهم وسائل التأثير الجماهيري فالشعب يتعرف على فكر قائده من لغته بل اتجه البعض بأن لكل نظام سياسي معجماً خاصاً به.

نضيف إلى ذلك أن الاتصال ينقسم إلى اتصال مباشر بدون وسيط وهو ما يتوافر في عالمنا المعاصر واتصال غير مباشر وهو مقصدنا حيث يقصد بالوسيط في عملنا هذا "النقش الأثري" وما حمله من رسائل سياسية، في ضوء هذه التعاريف الإعلامية والاتصالية نتناول مختارات من النقوش الأثرية في عصر الأسرة العلوية وما حملته تلك النقوش من رسائل ودلالات سياسية كانت من أهم وسائل التأثير الجماهيري التي لجأ إليها حكام هذه الأسرة.

الكلمات الدالة:

الإعلام – الاتصال – السياسة – النقوش – الاتصال السياسي – التأثير الجماهيري – رسائل إعلامي - الوسيط – الوسيلة – الحاكم – الشعب – دلالات سياسة

• أستاذ الآثار الإسلامية - كلية الآداب - جامعة طنطا dr.sahar2016@yahoo.com

هو التبليغ والإبلاغ أي الإيصال فيقال "بلغت القوم إبلاغًا" أي أوصلتهم الشيء المطلوب والبلاغ ما بلغك أي وصلك "وفي الحديث بلغوا عني ولو آية" أي أوصلوها غيركم واعلموا الآخرين[١] والإعلام لغة من المصدر علم بمعنى الإخبار والإشعار والإعلام. لهذا يعتبر الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها[٢] استنادًا إلى أن الإعلام يعني كافة أوجه النشاط الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار والمعلومات عن مجريات الأمور بطريقة موضوعية وبدون تحريف بما يؤدي إلى خلق أكبر درجة ممكنة من المعرفة والوعي و الادراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية[٣].

والاتصال بين البشر ظاهرة إنسانية بدأت وتطورت مع نشأة الحياة الإنسانية وتطورها فالإنسان دائم الاتصال مع الأفراد الذين يعيشون معه في المجتمع يتصل بهم ويتصلون به باختلاف الأهداف الذي يرمى إليها هؤلاء الأفراد من أحاديثهم ومناقشاتهم فالقائم بالاتصال يمارس نشاط الأخبار بالمعلومات وغيرها إلى متلق أو متقلين وذلك بهدف احاطته أو احاطتهم علماً بمعلومات وأفكار وآراء متباينة[٤].

وقصة تطور ظاهرة الاتصال الإنساني هى نفسها قصة تطور الحضارة الإنسانية التي بدأت بالإعلام التدويني أو التسجيلي،حيث كان الحجر من أهم الأوعية التسجيلية الإعلامية على أي شكل من أشكاله، وما تحمله هذه الأشكال من شارات إعلامية حيث كان لتنوع هذه المادة الخام الفضل في إعطاء الفنان القدرة والمساحة الكافية لاختيار ما يلائم مادته وأدواته وقدراته معًا. مما كان له أثره الكبير أن أصبحت هذه الأوعية الحجرية أكثر الأوعية الفنية والاتصالية استخدامًا في الحضارات القديمة[٥] مرورًا بوسائل الإعلام المختلفة التي عرفتها دولة الإسلام باختلاف عصورها ودولها سوأ كانت الخطبة الدينية التي اتسمت في أحيان كثيرة بالجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والحربي، فهى وسيلة الإعلام الاولى التي اعتمد عليها صاحب الدعوة محمد ﷺ في نشره الدين الجديد وإنشاء دولة الإسلام الأولى، وتسجل لنا عجلة التاريخ الكثير من الخطباء والقادة والحكام الذين استخدموا الخطبة لإثارة المشاعر وتهيج الخواطر وإثارة الثورات الشعبية في أحيان كثيرة[٦]. وهناك القصيدة الشعرية أول ما عرفه العرب وغير العرب من وسائل الإعلام فهى الآداة الوحيدة المعبرة عن مجتمع القبيلة في العصر الجاهلي. كما لعبت دورًا كبيرًا في نشر الإسلام ومناصره صاحب الدعوة، ثم ظهرت القصيدة السياسية والشعراء السياسيين وهناك أيضًا

(١) سهيلة زين العابدين حماد، الإعلام في العالم الإسلامي، ، ص١١.
(٢) ناظم خالد الشمري، الإعلام الاقتصادي، ، ص١٩.
(٣) عبد اللطيف حمزة، الإعلام والدعاية، ، ص٦٠.
(٤) محمود عبد الرءوف كامل، علم الإعلام والاتصال بالناس، ، ص٧.
(٥) محمود أدهم، الإعلام في مصر القديمة، ، ص٢٥.
(٦) عبد اللطيف حمزة: الإسلام والدعاية، ص٦٤.

القصيدة والشعراء الشعوبيون الذين تعصبوا لشعوب وأجناس ينتمون إليها نضيف إلى هذا القصيدة المذهبية والشعراء المذهبيون والذين تعصبوا هم الآخرون لفرق ومذاهب ذويهم، وبقيت وستظل القصيدة الشعرية لها مكانتها ووظيفتها السياسية والاجتماعية والإعلامية والدعائية حتي يومنا هذا[١]. نضيف إلى هذا الكثير من الوسائل الإعلامية الأخرى مثل الرسل والبعثات والمناداة والمنادين والنداء كإحدى الوسائل لنشر الأخبار والأحداث والعلاقات العامة والمناقشات والمناظرات والمؤسسات التعليمية المختلفة والدواوين المختلفة سوأ كانت ديوان البريد أو الطراز أو الخاتم أو الرسائل وما حملته السكة والنقد من دلالات إعلامية[٢].

والباعث لكل هذه الوسائل الإعلامية هى حاجة الحكام في كل زمان ومكان إلى التحدث إلى الشعب، فمن أبرز السمات التي تتسم بها المجتمعات الإنسانية باختلاف عصورها وأقطارها أن الحكام مسوقون فيها إلى الكلام مضطرون إلى شرح نياتهم وبيان أعمالهم ولا يملكون أن يضربوا صفحًا عن تبرير مسلكهم. فكل سياسة في عصر ما إنما هى حوار لا نهاية له بين الحاكم والمحكوم[٣] فالعلاقة بين الإعلام والسياسة هى علاقة جوهرية لدرجة يصعب فيها تصور أحدهما دون الآخر أو قيامه بوظائفه بمعزل عنه، وتعول الحكومات على اختلاف أنظمتها على وسائل الاتصال في تحقيق أهدافها، فالاتصال السياسي عنصر مهم في أداء السلطة والقائمين عليها ومن يستحوذ على السلطة يسعى جاهدًا إلى السيطرة على وسائل الاتصال واستخدامها لكسب التأييد والدعم لسياستها وقرارتها واتجاهاتها[٤] وذلك استنادًا إلى العلاقة القوية ما بين اللغة والسياسة فاللغة لسان السياسة والقناة التي تحمل أفكارها وتحقق مقاصدها في الشعب بل هى أهم سلاح توظفه السلطة في خدمة مصالحها، فلكل نظام سياسي معجمًا خاصًا به يستطيع أن نتعرف عليه من خلال جملة المفردات التي يرددها فالحقول الدلالية لمادة الألفاظ وكثافتها في خطاب أو رسالة سياسية مؤشرًا قويًا عن اتجاه صاحب الرسالة أو الخطاب السياسي[٥].

فاللغة السياسية المنتقاه لها وقع السلاح في المعارك السياسية حيث استطاع زعماء وقادة وحكام بسط نفوذهم السياسي من خلال اللغة، فالشعب يتعرف على فكرة قائده من لغته فيحدثه دون أن يراه ففضل اللغة على السياسة كفضل الماء على الأحياء وفي المقابل ساعدت السياسة على انتشار اللغة في مواطن اللغات الأخرى فلقوة الدولة وسلطتها ونفوذها وثقافتها كل الفضل في نشر لغتها[٦].

---

(١) عبد اللطيف حمزة،الإسلام والدعاية، ص٦٢.
(٢) محمد منير حجاب،الدعاية السياسية فى العصر الاموى،ص٥٥.
(٣) عبد اللطيف حمزه، الإسلام والدعاية، ص٦٦.
(٤) سعد آل سعود، الاتصال والإعلام السياسي، ص٢٣.
(٥) محمود عكاشة، خطاب السلطة السياسي، ص٣٣.
(٦) محمود عكاشة، خطاب السلطة السياسي، ص٣٧.

وتتضمن عملية الاتصال أربعة عناصر أساسية هى المرسل، وهو صاحب الرسالة الإعلامية أوالجهة التي تصدر عنها هذه الرسالة فلا رسالة بغير مرسل وباستطاعة كل فرد منا أن يكون مرسلاً لفرد مثله أو أفراد آخرين وصولاً للحاكم الذي يصبح مرسلاً لشعبه ومن حق كل مرسل أن يستخدم الأداة والوسيلة الممكنة والمتاحة لرسالته[١] وأيضًا صياغة أفكاره بوضوح واختيار الرموز والدلالات المناسبة للتعبير عن فكرة تعبيرًا صحيحًا وواضحًا حتى يصل إلى مقصده بنجاح[٢] والرسالة هي الشكل والمضمون اللذين تتخذهما مادة الاتصال أوهى مجموعة الأفكار والمعاني المراد توصيلها إلى فرد أو أفراد أو جماهير وطن بأكمله، وتبدأ الرسالة بالفكرة المراد توصيلها ثم تنفيذها باستخدام الطرق والأساليب والإمكانيات المتاحة ثم مراجعتها وإخراجها تبعًا لأنماط الإعلام في كل عصر[٣] وفى مجالنا نعني النقش الكتابي وما حمله من رسائل ذات دلالات إعلامية سياسية. ثم الوسيلة وهى الإطار أو الوعاء الذي توجد به الرسالة على أي شكل من أشكالها لتقوم بنقلها للآخرين إذن هى الأدوات والأجهزة والمعدات والآليات وما يتداخل في تركيبها أو صناعتها من مواد أولية منذ أن عرف الإنسان الأول وهو كائن اتصالي كيف يحفرها أو ينتجها أو يتقنها أو يصورها[٤] وصولاً إلى ما يعرف باسم تكنولوجيا الاتصال إذن فهى الجسور وحاملات الرسائل والتي تتباين بتباين العصر ووسائطه أو أوعيته الاتصالية الإعلامية التي هى انعكاسًا لمعارفه وتجاربه وخبراته الموروثة والمكتسبة والتي تعكس صورة التقدم المعرفي لهذا المجتمع[٥] ومن أجل ذلك يكون على القائم بالإعلام أو الاتصال أن يختار الوسيلة الأفضل التي تحمل رسالته الإعلامية والتي تتعدد بتعدد المتلقين وأماكنهم ومستوياتهم الفكرية واللغوية والاقتصادية وهؤلاء المتلقين هم المستقبل، الركن الرابع من أركان عملية الاتصال أي جمهور متلقي الرسالة الإعلامية بفئاتهم وأعمارهم ومواقعهم وهؤلاء أهم حلقة في عملية الاتصال لأن هؤلاء في ذاتهم عوامل توزيع للرسالة الإعلامية لأنهم يقومون بعمليات التنقيح والتنقية والإضافة والنشر للرسالة الإعلامية حسب سماتهم الاجتماعية واتجاهاتهم المختلفة[٦] وبذلك تتحقق عملية نجاح الاتصال أو عدمه أو ما يعرف باسم التأثير أو رجع الصدى ويعني ردود الفعل نتيجة استقبال الرسالة الاتصالية ذاتها أو الناتج الذي تصب فيه هذه المجهودات الاتصالية الإعلامية بأركانها الأربع والذي يختلف درجته

(١) محمود أدهم، الإعلام في مصر القديمة، ص٣٧.
(٢) حسن عماد مكاوي، الإعلام ومعالجة الأزمات، ص٢٧.
(٣) محمود عبد الرءوف كامل، علم الاتصال والاتصال بالناس، ص٢٠.
(٤) محمود أدهم،الإعلام في مصر القديمة، ص٣٩.
(٥) حسن عماد مكاوي،الإعلام ومعالجة الأزمات، ص٢٩.
(٦) محمود إبراهيم، الإعلام في مصر القديمة، ص٤٢.

باختلاف الرسالة والوسيلة كما تختلف من مستقبل إلى آخر أو آخرين أو جمهور وطن بأكمله(١).

وينقسم الاتصال الإنساني إلى أنواع متعددة منها ما يكون بين فرد وآخر أو آخرين ومنها الاتصال الجماهيري والذي يكون من مصدر واحد إلى جماهير غفيره متعددة وهو مقصدنا في هذا العمل البحثي، والمصدر هو الحاكم أما الجماهير فهى شعبة وما يبث له من رسائل إعلامية ذات دلالات سياسية وهناك الاتصال عبر وبين الثقافات والحضارات والذي تمر به الدول عبر عصورها المختلفة نتيجة التأثير والتأثر الزمني المتبادل(٢). كما يمكن تقسيم الاتصال إلى اتصال مباشر واتصال غير مباشر ففي النوعيه الأولى يتصل المرسل بالمستقبل والعكس دونما وسيط وفي الثاني يكون هذا الوسيط بين طرفي عملية الاتصال(٣). ويقصد بالوسيط في دراستنا هو النقش الأثري وما تضمنه من رسالة إعلامية موجهة ذات دلالات سياسية.

في ضوء هذه المعارف الإعلامية والاتصالية نتناول مختارات من النقوش الأثرية في عصر الأسرة العلوية وما حملته تلك النقوش من رسائل ودلالات سياسية كانت من أهم وسائل التأثير الجماهيري التي لجأ إليها حكام هذه الأسرة والتي تتمثل فيما يلي:

- نقوش تحمل رسالة إعلامية تفيد أبراز صفات القوة والعظمة في الحاكم حيث جاءت العديد من النقوش الخاصة بتفخيم حكام أسرة محمد علي مدونه على عمائرهم، بالإضافة إلى تلك النقوش التي تظهر قوة البناء وروعة التصميم والزخارف كصدى لقوة الحاكم مع ذكر أسماء منشآت زائعة الصيت ومقارنتها بمنشآت الحاكم في الأهمية والجمال مع الحرص إلى الإشارة على بذل المال والسخاء لبناء المنشأة من قبل الحاكم ومن ماله الخاص.

يمثل النص التأسيسي لجامع محمد علي بمدينة القاهرة والذي يقع أعلى المدخل الواقع في الواجهة الشمالية الغربية وهو المدخل المشترك بين بيت الصلاة وصحن المسجد نموذج رائع منفرد لهذه الرسالة الإعلامية. وجاء هذا النص منفذًا على لوحة رخامية بلغت أبعادها ٣,٣٠م × ٣م اشتملت على إحدى عشر بيتًا شعريًا كتبت بخط النستعليق باللغة التركية باسلوب الحفر البارزمع زخرفة اللوحة بزهور القرنفل وانصافها وفروعها لتفصل بين كل شطرمن الابيات الشعرية بالإضافة إلى استخدام أشكال المراوح النخيلية المذهبة فبدت اللوحة إبداع لفنان جمع بين مهارة الخط والزخرفة نقرأ فيها:

(١) محمود إبراهيم، الإعلام في مصر القديمة، ص٤٣.
(٢) محمود عبد الرءوف كامل، علم الإعلام والاتصال بالناس، ص٣١.
(٣) محمود عبد الرءوف كامل، علم الإعلام والاتصال بالناس، ص٣٣.

١- هذا جامع البر والإحسان لذوي المحاسن عنوان
من أنفق أمواله واستوفى همته دوماً في الخير
٢- قدوه العظماء ومانح الرتب للعظماء
ماء وجه فخر الكرام مصدرالجود والإحسان
٣- الحاكم ذو الشهرة العريضة
الذي شهدت خدماته للوطن والدين مدح العالم
٤- الذي انشغل بالحصول على ثواب الدارين
فبنى هذا الأثر الظاهر أمام الناس
٥- اطلعه الله على سر من بنى
فبنى المسجد العظيم البنيان ذوالنور
٦- هذا الجامع الذي لم يرى مثله على مر العصور في الأرض
ولن يبنى مثله ولو دار الفلك الدوار آلاف السنين
٧- أن بابه وجدرانه يذكرون بالدارالفردوسية
إذ يبرز بنور الإيمان عند صحنه الواسع
٨- تزخرفه وتزينه زخارف من صنع الخيال
فهو يشبه الجنة إذ جاز الوصف
٩- اللهم وفق منشئه في كل خطواته
مادام آذانه يرفع من مئذنتيه في الخمسة صلوات
١٠- هذا نقش البراعة تاريخه الكامل كالجواهر
جامع الفيض محمد علي ذو المنزلة العظيمة[١]

نقتبس أيضاً من قصيدة الشاعر شهاب الدين المصري والمعروفة باسم "عروس كنوز" والمدونة بالواجهات الخارجية للجامع الأبيات التالية والتي تؤدي نفس الرسالة الإعلامية:

١- هو الفلك الأعلى تنزل ازدهى
بزهر الدراري جامعاً كل مرقد
٢- إلا أن تجديد العجيب من البنا

(١) أسماء شوقي أحمد دنيا، جامع محمد علي بمدينة القاهرة، ص٣٤٨.

يؤكد تأسيس اقتدار المجدد

٣- فدع قصر غمدان واهرام هرمس

وايوان كسرى إذا أردت لتهتدي

٤- ودع ارم ذات العماد ونحوها

وعرشاً لبلقيس كصرح ممدد

٥- ودع أموي الشام وانزل بمصرنا

وبادر إلى هذا بإيماء مرشد

٦- فلو عددت بالكون بدء بدائع

لكان به ختم لذلك التعدد

٧- كأن الليالي الوالدات عجائباً

اصبن بعقم بعد هذا التولد

٨- لئن صار في الدنيا وحيداً تفرداً

فلا غرو والمنشئ له ذو تفرد

٩- وهاك عقوداً من معان اجادها

بيان بنا هذا البديع المجدد

١٠- مبان إذا امضت فيها مؤرخاً

تريك على قدر العزيز محمد[١]

حققت الأبيات الشعرية السابقة الغرض الدعائي الإعلامي بما حملته من معاني وصيغ بلاغيه تعبر وتؤكد على قوة الحاكم وبأسه وسطوته والذي لم ير مثله على مر العصور. كما حملت الأبيات رسالة أخرى مفادها التعرف على فكر القائد وزعامته والتي جسدتها كلمات ومعاني قوة البناء والتي لم يكتفي الكاتب والشاعر بتلك الكلمات الرنانة بل ذكر الكثير من المنشآت التي لها قدرها وأهميتها، بل أعد بعضها من عجائب الدنيا بل وصلت المبالغة في التشبيه إلى عقد المقارنة التي كانت نتيجتها لصالح المنشأة وصاحبها والتي أعدت ختام للمباني البديعه في الكون والتي فاقت في جمالها ما جاء قبلها أو بعدها بل وصلت الصيغ البلاغية والكلمات ذكر لعناصر المنشأة وزخرفتها مثل العقود التي انتظمت، والزخارف التي هى من صنع الخيال وأبوابه وجدرانه وصحنة الواسع الذى هو أشبه بالفردوس الأعلى وكذا مئذنتيه اللذين

(١) عاطف عمرحسن، الكتابات الشعرية، ص٨٧.

يرفع منهما الأذان للصلوات الخمس مع الدعاء للمنشئ بالتوفيق والذي ارتبط بدوام الرفع والآذان.

نموذج آخر لهذه الرسالة الإعلامية وهى النصان التأسيسيان لجامع البوصيري بمدينة الإسكندرية والذي شيده سعيد باشا (١٢٧١ – ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٤ – ١٨٥٧م) والذي يقع بميدان المساجد بحي الأنفوشي بالإسكندرية حيث نفذا النصان في لوحة رخامية بالخط الفارسي تعلو المدخل الثاني بالواجهة الجنوبية الغربية للجامع نقرأ فيهما:

النص الأول:

١- اخي الأبصيري سعيد بمسجد

٢- وهو طراز جديد في الجمال

٣- أنا ادعو الله لمن أنشأ هذا الجامع الظريف

٤- بالعون والتأييد

٥- يبدو بثغر الإسكندرية ضاحكاً

٦- حيث الحلي مثل العروس لزائر

٧- بمنصة الإنشاء والتجديد

٨- قد قال فيه أبو السعود مؤرخاً

٩- حلى الأبوصيري بذل سعيد ١٢٧٤هـ[١]

النص الثاني:

١- جناب مصر ذو الهمة الفائقة

٢- أنه سعيد باشا الذي يعرف بأيديه الخيرة

٣- ذلك أن مصر منذ أصبحت مصر فإن أم الدنيا لم تر مطلقاً

٤- والياً كهذا وطنياً عظيم السجايا

٥- فقد أعاد بناء جامع الخيرالأبصيري من جديد

٦- بعدان كان خاوياً وخالياً من الجماعة

٧- لقد وفق صاحب الخيرات الحسان في إعادته جديد تماماً

٨- وأن أفعاله كانت دائماً من أجل رضا البارى

٩- ولقد قلت تاريخاً ادون به انشاءه

١٠- انشأ سعيد باشا العظيم جامعاً غالياً بلا مثيل[١]

(١) أحمد محمود دقماق، مساجد الإسكندرية، ص١٦٣.

حمل النصان التأسيسيان لجامع البوصيري بمدينة الإسكندرية أكثر من رسالة دعائية إعلامية سياسية أولها الربط الرائع الذي ربط بين المنشئ "الحاكم" وصاحب المنشأة كأحد الأولياء الصالحين والتي جسدتها كلمة "أخى" ثم وصف المسجد بكونه طراز جديد للمساجد مثله مثل العروس المزينة التي يزدان بها ثغر الإسكندرية. ثم وصف المنشئ بكونه وطني لم تعرف مصر منذ نشأتها قبله حاكم في وطنيته، ثم التكرار المتعمد من قبل الكاتب على الإنشاء والتجديد للجامع من قبل الحاكم صاحب الخيرات الذي ليس له مثيل في عطائه.

- نقوش تحمل رسالة إعلامية مفادها تسجيل العمليات العسكرية وما وصل إليه الحاكم من إنتصارات ومكاسب عسكرية واستخدام القالب الشعري لقدرته وفاعليته على إيصال الرسالة الإعلامية لدى القارئ والزائر والمصلي.

تعتبر قصيدة شهاب الدين المصري[٢] بمسجد محمد علي نموذج منفرد لتسجيل انتصارات الحاكم العسكرية تلك الانتصارات التي اجتذبت شاعر له شأنه وموهبته التي مكنته من نظم قصيدة "عروس كنوز" التي زين بها المسجد من الخارج حيث نقشت القصيدة بالكامل حول المحيط الخارجي بالمسجد، حيث نقش أول أبيات القصيدة أعلى اول نافذة تقع على يمين المدخل الذي يؤدي إلى صحن المسجد. واستمرت الأبيات أعلى النوافذ حول محيط المسجد بحيث انتهت القصيدة بشطرها الأخير أعلى النافذة على يسار نفس المدخل.

نقتبس من تلك القصيدة التي حملت الكثير من الأغراض والمعاني الأبيات التالية:

لـه الله مـن راع حمـى حومـه العـلا	وراعـى الرعايـا إذ تـروح وتفتـدى
بسـطوته الركبـان سـارت وحـدثت	عـن البحـر فـي مـد وجـزر لمعتـدي
وقـد أيدتـه فـي المعـارك نصـرة	بفـتح مبـين عـن متـين مـدد
إذا جـاء نصـر الله والفتح بالضـحى	فويـل لكـل العاديـات بمرصـد
مـدافع إبـراهيم بالرعـد حولـه	تقـول تلونـا السـجدة الآن فاسـجد
فسـل عـن نجـداً إذ تـيمم منجـداً	ومـا لعـداة مـن اغاثـة منجـد

(١) أحمد محمود دقماق، مساجد الإسكندرية، ص١٦٥.

(٢) شهاب الدين المصري هو شهاب الدين محمد بن إسماعيل بن عمر المصري تفقه ودرس في الأزهر الشريف على يد الشيخين العروس والعطار. كما تعلم الهندسة والموسيقى وكان من محرري وكتاب الوقائع المصرية. ثم عين مصححاً لمطبوعات بولاق ومن أشهر أعماله مجموعة أدبية سماها سفينة الملك ونفيس الفلك، وله أيضاً ديوان شعري مرتب على حروف المعجم وتوفي الشاعر شهاب الدين المصري ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م.

وسـل واقعـات الـزنج والـروم إذ سـطا بسـمر القنـا وبـيض المهنـد
وسـل يمنـا والشـام واذكـر وقائعـاً وأورد صـحيح النقـل عـن كـل مسـند
وسل هل عسير كان يوم مصابهم عسـيراً وقـد بـاؤا بشـمل مبـدد
خطوب دهتهم في مصادمة الوغي بمنصـور جـيش فـي الحـروب مؤيـد

بالإضافة إلى أحد الأبيات الشعرية بالنص التأسيسي للمسجد ونصة:

١- الذي خلص الحرم من العصاة

فاستحق لقب الغازي المختار

وتشير الأبيات السابقة إلى حروب محمد علي في جزيرة العرب والتي ورد ذكرها في أبيات الشاعر في أكثر من موضع سوأ في نجد أو في عسير وتعتبر جزيرة العرب أول ميدان لحروب مصر الخارجية في عهد محمد علي وكانت الحرب فيها من أشق الحروب التي خاضها محمد علي والتي جاءت استجابة لنداء تركيا والباب العالي الذي دعاة في مناسبات كثيرة لتجريد جيوشه لمحاربة الوهابيين. وذلك بعد ما استفحلت الدعوى الوهابية بالحجاز وإرسال تركيا العديد من الحملات لإخمادها ولكنها فشلت فزلزلت هيبة تركيا والسلطان العثماني باعتباره "حامي الحرمين الشريفين" فرأى محمد على أنه إذا استطاع بقوة جيشه أن يقضي على الدولة الوهابية ويستخلص الاراضى المقدسة منها فيتوطد مركزه بذلك وتعلو مكانته وبالفعل نجح في هذا الأمر، وصارت تلك الحروب مضرب الأمثال واتسعت حدود مصر السياسية لأن محمد علي لم يكتفي بكسرشوكة الوهابيين بل ظلت جيوشه تبسط سلطانها على أنحاء الجزيرة ،بل اسندت تركيا مشيخة الحرم المكي وولاية جدة إلى ابنه إبراهيم باشا والذي ورد ذكره في القصيدة. كما أشارت القصيدة إلى حروبه في بلاد اليمن وبلاد الشام وكذلك حروبه في بلاد الروم والترك ولكل من هذه الحروب أسبابها وأطماعها ومكاسبها. فبلاد الشام على سبيل المثال ضمت إلى مصر كحاجز حصين بين الدولة المصرية والدولة العثمانية وبذلك أتقت مصر شر تركيا إذ حدثت نفسها بغزو مصر ولهذا نعتبرها حرباً دفاعية وكذلك حرباً هجومية لأن محمد علي كان يهدف إلى التوسع في حدود مصر السياسية بضم سوريا. بالإضافة إلى طموحه ومشروعة وحلمه في إنشاء دولة عربية مستقلة تضم البلاد العربية في أفريقيا وآسيا، ويؤيد ذلك ما ورد على لسان إبراهيم باشا بعد فتح عكا بعدما سئل إلى أي مدى تصل فتوحاته فقال: إلى مدى ما يتكلم الناس باللسان العربي بالإضافة إلى نيته وتصريحاته بإحياء القومية العربية[١].

(١) جرجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج٣، ص٢١٣.
للاستزادة راجع:

وهذا ما جسدته القصيدة والتي دونت على واجهات أعظم عمائر محمد علي بمدينة القاهرة. والتي استرشد فيها الشاعر بالأبيات القرآنية والالقاب التى تناسب الحدث "إذا جاء نصر الله" – "منصور – الغازي – المختار".

- نقوش تحمل رسالة إعلامية تفيد احتواء الحاكم لجميع أطياف المجتمع الفكرية والمذهبية ومنها نقوش ذات دلالات صوفية وشيعيه، وذلك لإظهار الطبيعة المتسامحة للحاكم والتي لا تتوقف عند اختلافات المذهب والفكر.

من هذه النقوش الكتابات الشعرية بمسجد السادات الوفائية ١١٩١هـ/١٧٧٧م والذي ينتهي نسبهم إلى أولاد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب وأكثرهم شهرة السيد محمد وفا بن محمد الأوسط بن محمد النجم، وهم من الإدارسة الأشراف بالمغرب الأقصى[١] حيث يعلو المدخل الرئيسي للجامع لوحه حجرية نقش عليها نص شعري من ستة أبيات بخط النسخ البارز نذكر منها:

نـــور ابـــى الأنـــوار ســـر الوفـــا الســـيد الأنـــور غيـــث الأنـــام
اشـــرق فـــي أفـــق ســـما الحمـــا فـــي حـــي الســـادات الوفـــا الكـــرام

كما يعلو الواجهة الشمالية الغربية لوحة رخامية ذات كتابات شعرية من بيتين نصهما:

بـاب شـريف فـي رقـي لبنـي الوفـا بـــالحق فيـــه أفضـــل الأقطـــاب
قالـــت لنـــا أنـــوار ســـر جنابـــة لاشـــك هـــذا أكمـــل الأبـــواب

أما المسجد من الداخل فيحتوي على سبعة عشر مقام للسادات الوفائية أهمهم وأكبرهم مقصورة العارف بالله الشيخ محمد وفا وولدة القطب أبو الحسن علي حيث تعلو باب المقصورة لوحة خشبية كتب عليها بخط النسخ المذهب هذان البيتان داخل أربعة بحور نقرأ فيها:

أن بـــــاب الله طـــــه جـــــدكم ولكـــم قـــدر علـــى عـــن علـــي
كـــل مـــن يرجـــو الوفـــا مـــن بابـــه واتـــى مـــن غيـــركم لـــم يـــدخل[٢]
هـــذه روضـــه وهـــذا مقـــام مشـــهد مشـــرق وقطـــب همـــام

١- عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، ص١١٧- ٢٨٢.
٢- عبد الحميد البطريق، "إبراهيم باشا في بلاد العرب"، ص٣- ٣٠٠.
٣- محمد أحمد حسونه، "إبراهيم باشا في بلاد اليونان"، ص٣٣- ٧٠.
٤- عبد الرحمن زكي، "حملة الشام الأولى والثانية"، ص٢٨١.
٥- أحمد فهيم بيومي، "حرب كريت والمورة"، ص٢١١.
(١) ياسر كريم محمد، منشأت السادات الوفائية بالقاهرة، ص١٠.
(٢) عاطف عمر أحمد ، الكتابات الشعرية، ص٨٣- ٨٩.

بدأت النقوش الأثرية بذكر أفضلية آل الوفا واستخدام مصطلحات تخدم هذه الأفضلية وتعبر عنها مثل: "أبى الأنوار – غيث الأنام" بالإضافة إلى استخدام الشاعر مسمى العائلة كصفة في أحيان كثيرة.

ثم الإشارة الواضحة لإحدى مصطلحات الصوفية وألقابها وهو "أفضل الأقطاب" و"قطب همام" والقطب من ألقاب الصوفية[١] وأهل الصلاح وهو عند الصوفية رأس العارفين أو هو الواحد الذي هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان[٢] وهى درجة تعادل القطبية الكبرى أو مرتبه قطب الأقطاب ونراها هنا ترد لقبًا لأبي الحسن علي وفا الذي يمتد نسبه إلى سيدنا محمد ﷺ وذلك في قول الشاعر "طه جدكم" والذي حرص الكاتب على تسجيله وهى عندهم باطن بقوه محمد ﷺ ولا تكون إلا لورثته لاختصاصه عليه الصلاة والسلام بالأكملية فلا يكون خاتم الولاية وقطب الأقطاب إلا على باطن خاتم النبوة[٣].

ومن المعروف أنه حدثت الكثير من التطورات للتنظيمات الإدارية للطرق الصوفية في مصر خلال القرن ١٣هـ/١٩م فنجد أن شيخ مشايخ الطرق الصوفية يعين بقرار من رئيس الدولة، كما صار لهم مشيخة عامة لصاحبها حق التكلم عن جميع الطرق وأصبح لكل طريق شيخ ولكل شيخ خلفاء في القرى ونواب في المراكز والمديريات ولكل خليفة مريدون وغيرها من تنظيمات إدارية خاصة بالطرق الصوفية كما عرف رئيس الصوفية بشيخ مشايخ الطرق الصوفية[٤].

ومن الجدير بالذكر أن للسادات الوفائية كإحدى الطرق الصوفية مولد خاص يقام بمسجدهم في الفترة من ١٨ – ٢٣ شعبان تقام به جميع الطقوس الخاصة بالموالد في مصر وبحضرة الكثير من الإتباع والمريدين[٥].

وحقيقة الأمران إظهار هذه الطبيعة المتسامحة للحاكم لم تتوقف على السماح بتسجيل كتابات ذات دلالات صوفية تنسب لإحدى رموز هذا الاتجاه الفكري بل المشاركة في البناء والتشييد لمنشآت دينية تحمل أسماء هؤلاء ومنها المسجد الأحمدي "أحمد

---

(١) الصوفية والتصوف تعني السفر إلى الله تعالى فالسالك أو المريد هو المسافر والذي قام بتزكية نفسه وجوارحه من منكرات الأخلاق والأعمال وذلك بقرب العبد من حضرة الله قربًا معنويًا، وقد نشأ التصوف الإسلامي في أواخر القرن الثاني الهجري واستمر بعد ذلك استمرارًا لحركة الزهد الإسلامية. ويعد صلاح الدين الأيوبي أول مؤسس حقيقي لأول خانقاة في مصر خصصت للصوفيه وهى خانقاة سعيد السعداء والتي تعد كذلك أول تنظيم إداري للطرق الصوفية في مصر. كما يعد العصر المملوكي من أهم العصور التي اهتمت بالتنظيمات الإدارية للطرق الصوفية في مصر حيث انتظمت فيه الصوفية في جماعات مرتبة داخل الخانقاوات التي أنشئت بكثرة خلال ذلك العصر.

(٢) كامل مصطفى الشيني، الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص ٦٥.
علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص٩٨.

(٣) حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص٤٣١.

(٤) مصطفى بركات، الألقاب والوظائف، ص٢٢١.

(٥) عامر النجار، الطرق الصوفية، ص٢٣.

البدوي" بمدينة طنطا أحد أقطاب الصوفية وصاحب الطريقة البدوية والذي ينتهي نسبة إلى الإمام علي بن أبي طالب ﷺ [١] حيث نفذ النص التأسيسي لهذا الجامع على على عتب رخامي يعلو باب المدخل الرئيسي وهو عبارة عن لوحة رخامية مستطيلة نفذت بالخط الثلث بالحفر البارز تشير إلى اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء بالتقويم الهجري ونصها: "أنشئ هذا المسجد المبارك خديو مصر عباس باشا الأول سنة ١٢٦٧"[٢]

رمزًا آخر من رموز الصوفيه في مصر وصاحب الطريقة البرهامية سيدي إبراهيم الدسوقي والذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي ﷺ وأمه السيدة فاطمة بنت أبي الفتح الواسطى خليفة السيد أحمد الرفاعي بمصر والذي لعب دورًا كبيرًا في تأسيس وبنيان الطرق الصوفية في مصر[٣]. حيث تحمل النقوش التأسيسية للجامع مسمى الخديو توفيق مع أن أعماله تعد استكمالاً للأعمال التي بدأها الخديوي إسماعيل في أواخر أيام حكمه ولم تستكمل، فيذكر علي مبارك في هذا الشأن "وهو الآن صار تجديده على طرف الخديوي إسماعيل على غاية من الاعتناء وقد رسم فيه مئذنتان وبني أساسهما مع الجامع وكان وضعه على الهيئة التي هو عليها الآن بمعرفتنا و رسمنا زمن توليتنا الأوقاف المصرية"[٤] أما النصوص التأسيسية لمسجد إبراهيم الدسوقي والتي حملت اسم الخديو توفيق فقد جاء الأول منها مثبتًا على المدخل الواقع بأقصى الواجهة الرئيسية للمسجد نفذ على لوحة رخامية مستطيلة الشكل في بيتين من الشعر منفذة بالخط الثلث بأسلوب الحفر البارز نقرأ فيها:

١- بتوفيق ربي تم الهيج مسجد عليه جمال الله والنور ساطع

٢- تمت عمارته فارخته بها رحاب الأسرار الولاية جامع١٣٠٣

أما النص الثاني فيقع أعلى عتب المدخل الثاني للجامع والواقع على يسار المدخل الرئيسي بالواجهة الرئيسية للجامع ونصه كالتالي:

١- بالتوفيق يجدد مسجد لله أضحى به سيد لمن زار ضامنًا

٢- مقام لإبراهيم آمن فارضوا ١٣٠٣ محب اتاه خائفًا كان آمنًا

(١) محمد فهمي عبد اللطيف، السيد أحمد البدوي أو دولة الدروايش في مصر، ص٣٣.
إبراهيم أحمد نور الدين، حياة السيد البدوي، ص٣٢.
سعيد عاشور، السيد أحمد البدوي وطريقه، ص٦٧.
(٢) مجدي عبد الجواد علوان، عمائر الخديوي عباس حلمي الثاني الدينية ، ص٥٥.
أحمد محمد صلاح الدين عبد السلام، النقوش الكتابية على المنشآت الإسلامية ، ص١٢٠.
(٣) عبد العزيز عبد التواب، سيدي إبراهيم الدسوقي وأولياء الله الصالحين، ، ص٥٥.
(٤) علي مبارك، الخطط التوفيقية، ج١١، ص١٦- ١٧.

أما النص الثالث فقد جاء منفذعلى لوحة رخامية مستطيلة تعلو مدخل السيدات بالخط الثلث بأسلوب الحفر البارز نقرأ فيه:

١- اشـــكر الله فالشـــعائر قامـــت إذ بتوفيقـــه تمـــام العمـــارة

٢- اســبغ الوضــوء والغســل وارخ أن هذا سر لباب الطهارة[1] ١٣٠٣

أشارت النصوص الثلاثة لمسجد إبراهيم الدسوقي إلى مسمي صاحب عمارة وتجديد المنشأة وذلك بصيغة الدعاء تماشيًا مع الإيقاع الشعري للكلمات وذلك في قوله "بتوفيق – بالتوفيق – بتوفيقه" حيث تم توظيف المسمى لتحقيق الغرض الدعائي الإعلامي بالإضافة إلى الرسالة الإعلامية الأساسية وهى احتواء جميع أطياف المجتمع الفكرية والمذهبية حيث احتوى النص الأول إلى الانتهاء تمامًا من عمارة المسجد كاملاً وتاريخ الانتهاء بالتقويم الهجري ١٣٠٣هـ ثم إرفاق كلمة التجديد بالنص الثاني وإيضاح وظيفة المنشأة بالإضافة إلى كونها مسجد بالبيت الأول إلا أنها مقام لسيدي إبراهيم الدسوقي بالبيت الثاني ثم التأكيد على عمارة المسجد وإقامة الشعائر به بتوفيق الخديوي توفيق.

نقوش أخرى تشير إلي طائفة مختلفة اختلافًا مذهبيًا وفكريًا ونقصد هنا المذهب والفكر الشيعي، حيث تأتي القصيدة الشعرية المكونة من اثنى عشر بيتًا والمقسمة إلى أربع وعشرين بحرًا والتي كتبت على أزار خشبي يحيط بجدران غرفة الضريح الخاصة بالإمام الحسين ﷺ وذلك بمسجده بمدينة القاهرة والتي نفذت بالخط النسخ المذهب نقتبس منها:

خيـــره الله مـــن الخلـــق أبـــى بعـــد جـــدى وانـــا ابـــن الخيـــرتين

والـــدي شـــمس وأمـــي قمـــر وأنـــا الكوكـــب بـــين النيـــرين

فضـــه قـــد خلصـــت مـــن ذهـــب وأنـــا الفضـــة بـــين الـــذهبين

مـــن لـــه جـــد كجـــدي المصـــطفى أحمـــد المختـــار نـــور الظلمتـــين

مـــن لـــه عـــم كعمـــى جعفـــر ذي الجنـــاحين أصـــيل النبـــين

مـــن لـــه أم كـــأمي فاطمـــة بصـــفة الزهـــراء قـــره كـــل عـــين

شـــيعه المختـــار قـــروا عينًـــا فـــي غـــد تســـقون مـــن كـــف الحســـين

عـــن أخيـــه الحســـين الأعلـــى رووا نظمـــه والمـــدح حـــق الحســـنيين

والســـعادات بنصـــرا رخـــت يرقـــى إســـماعيل أعلـــى الجنتـــين

(١) عزة عبد الحميد شحاته، النقوش الكتابية، ص١٣٢.
أحمد صلاح عبد السلام، النصوص التأسيسية، ص١١٢.

نلاحظ التصريح الكامل للمذهب الشيعي في كلمات الأبيات الشعرية في قوله "شيعة المختار قروا عينا في غد تسقون من كف الحسين".

والتي جاءت بعد مديح لآل البيت وذلك في قوله "خيرة الخلق" تم استعراض لهؤلاء كلا باسمه ثم التجاهل لذكر أي من صحابة الرسول ﷺ على مدار القصيدة، ومن الملاحظ أيضًا ذكر السقاية عند الحوض الشريف وذلك فى قوله" كف الحسين"، وليس من يد الرسول كما هو معروف عند أهل السنه والجماعة.

بالإضافة إلى تسجيل اسم مجدد المسجد "الخديوي إسماعيل" ١٢٩٠هـ - ١٨٧٣م[١].

نقوش أثرية تحمل رسالة إعلامية تفيد حرص الحاكم على التقرب إلى العامة وتقوية الرابط الاجتماعي بين الحاكم ورعيته وذلك من خلال إنشاء أو تجديد أو إضافة لمنشأة دينية تخدم احتياج روحي له قدسيته وأولويته عند رعيته والتى جاءت فى صورتين:

١- حملت هذه المنشآت مسمى الكثير من أسماء آل البيت أو الأئمة أو أولياء الله الصالحين أو أحد الشيوخ أصحاب الكرامات والنبوءات التي اعتقد فيها الحاكم بل الحرص على آرفاق اسم الحاكم مصحوباً بأسماء هؤلاء مع الإكثار من العبارات الدالة على حب رسول الله ﷺ وحب آل بيته الكرام وطلب الأجر والثواب والمغفرة والشفاعة.

٢- حملت هذه المنشآت مسمى الحاكم بصيغة اسم المفعول المشتق من المسمى وتوظيفه في القصيدة الشعرية التي ظهرت بشكل كبير في نقوش عصر أسرة محمد علي وذلك لما تحمله القصيدة الشعرية من إحداث الكمال السمعي والبصري للمصلى والزائر وتوزيع هذه المنشآت على أقسام مصر الإدارية آنذاك لإحداث الانتشار الواسع للرسالة الإعلامية.

نذكر من هذه النقوش على سبيل المثال لا الحصر:

النقوش الأثرية لمسجد صالح أبو حديد بحي الناصرية بمدينة القاهرة وهو أحد الشيوخ الصالحين أصحاب الكرامات والنبوءات والذي أحبه الخديوي إسماعيل واعتقد في كراماته، كما اعتقد غيره من جموع شعبه فابتنى له هذا المسجد بعد ما أوقف عليه أوقافاً كثيرة بمديرية البحيرة. ويقع النص التأسيسي لهذا الجامع في لوحة جصية بها أبيات من الشعر في ثمان أسطر باللغة التركية تتصدر المدخل الرئيسي للجامع نقتبس منها التالي:

الوالي عالي المنزله وصاحب الأمر في البلاد

(١) إبراهيم إبراهيم عامر، العمائر الدينية، ص٢٥.
عاطف عمر حسن، الكتابات الشعرية، ص٤٢.

أنه صاحب النصيب من الكرم ومرسى العدل والوقار

أنه من آثار إسماعيل التهليل يؤثر

السامعين والهدف من ذلك مجرد تحصيل الأجر والثواب بلا حصر

أقام الخديو مسجدومقاماً للشيخ صالح

حتى يكون ذكرى في الدنيا إلى يوم القيامة

كما يوجد نقش آخر أعلى عتب المدخل المشترك بين الميضأة وبيت الصلاة نفذت على لوحة رخامية مستطيلة الشكل نقش بداخلها بيتين من الشعر بأسلوب الحفر البارز بخط النستعليق نصه كالتالي:

انشـــــأ أفنـــــدينا الخـــــديوي مسجداً موفي المساجد بالمحاسن مفرد

رم صـــــــالحاً فيـــــــه وزره مؤرخاً من سعداسماعيل هذا المسجد[١]

١٢٨٠

نلاحظ في نقوش المنشأة الحرص الشديد على تسجيل اسم الحاكم في أكثر من موضع وفي مكانين مختلفين، والتي بدأت بالإشارة إليه وذلك بذكر محاسنه وفضائله والإشارة إلى المنشأة والغرض من إنشائها وهى تحصيل الأجر والثواب ومرضاة الله تعالى، ثم وظيفة المنشأة وجمعها ما بين كونها مسجداً ومقاماً للشيخ الصالح والتي وصفها الكاتب بكونها جاءت موافيه ومنفرده بالمحاسن، وكما سبق ذكره أن صاحب المنشأة مجرد ولي اعتقد الخديوي إسماعيل في كراماته ونبواءته وحاز على إعجاب ورضا قطاع كبير من جموع شعبه.

وتأتي النقوش الأثرية لجامع السيدة زينب بالميدان الذي يحمل مسماها بمدينة القاهرة والتي ترجع جميعها إلى التجديدات التي نسبت إلى الخديوي توفيق ١٣٠٢هـ-١٨٨٥م بشكل أبيات شعرية وزعت على الواجهة الرئيسية للجامع التي تقع بالجهة الشمالية والمخصصة حالياً كمدخل للسيدات نقرأ فيه:

بنـي المسـجد العـالي العزيـز لزينـب وفيـــه نـــور العنايـــة بـــرزخ

ببابـــــه بانيـــــه لله مخلـــــص بتكميـــل توفيـــق ببـــر يـــؤرخ

بـــاب الشـــفاعة عنـــد قبـــة زينـــب يلقـــاه غـــاد للمقـــام ورايـــح

مـــن يمـــن توفيـــق العزيـــز مـــؤرخ نـــور علـــى بـــاب الشـــفاعة لايـــح

لمســجد ذات الجــد والســير زينــب بهـــا عـــلا نـــور البـــدور تطـــاولا

فقـــل للـــذي يرنـــو إليـــه مـــؤرخ بتوفيـــق مولانـــا البنـــاء تكـــاملا[١]

(١) عبد الوهاب عبد الفتاح حجاج، الطراز المعماري والفني لمساجد القاهرة ، ص٦٢.

تشير الأبيات السابقة إلى اسم منشئ مسجد السيدة زينب بأكثر من صورة بعضها جاء صراحة وبعضها بالإشارة إليه بقوله "وبني المسجد العالي العزيز لزينب"، أو استخدام صيغة الصفة المشتقة من اسمه"بتوفيق" والذي لم يكتمل البناء إلا به. ثم مدح الشاعر لصاحبه النسب العلوي والتي جاء ذكرها سابقة لاسم الحاكم الذي ابتنى هذه المنشأة ابتغاء مرضاة الله وشفاعتها يوم القيامة وكذلك الإشارة إلى وظيفة المنشأة والتي جمعت ما بين الغرض الديني والجنائزي في قوله "قبة زينب".

وللجامع ثلاث مداخل بالواجهة الغربية كل منها عبارة عن تجويف غائر يتوجه عقد مدائني يعلو كل منها عتب رخامي مستقيم يعلوه نفيس ثم عقد عاتق من صنجات حجرية ويعلو المداخل الثلاث ثلاث لوحات رخامية نقش بكل منها بيتين شعريين داخل أربع أبحر بيضاوية الشكل نقرأ فيها:

١- يا مسجد قد شادة توفيق لابنه خير شافع

قد قيل في تاريخه باب لقربى الخير جامع

٢- بتوفيق العزيز بناء بيت وفيه من بها ترجى المنافع

فزر واقرأ وصل وسل وارخ به سر لكل الخير جامع

٣- لزينب الحرم المصري جدده خديو مصر بترتيب وتنسيق[٢]

نور الكريمة يحكي حين أرخه لي بيت سعد عليه باب توفيق

رسائل إعلامية متعددة بل ومتكررة تحملها هذه الأبيات الشعرية مفادها أن بناء الحاكم لهذه المنشأة والذي ورد اسمه بأكثر من صورة أيضاً بغرض الشفاعة من ابنه بنت خير شفيع فالسيدة زينب هى ابنة لفاطمة الزهراء ابنه رسولنا وحبيباً وشفيعنا يوم القيامة عليه أفضل الصلاة والسلام، ويكرر مرة ثانية أن بنائه لهذه المنشأة هى وجه من وجوه القربى لله تعالى فيها المنافع المرجوة للزائر والقارئ والمصلى والسائل فلكل هؤلاء الخير الجامع.

(١) عاطف عمر حسن، الكتابات الشعرية على مساجد القاهرة، ص١١٨.
(٢) عاطف عمر حسن، الكتابات الشعرية على مساجد القاهرة، ص١١٩.
- إبراهيم إبراهيم عامر: العمائر الدينية، ص١٢٧- ١٢٨.

ثم وصف المسجد بكونه "الحرم المصري" والحرم كل ما حرم فلا يمس[١] وتخصص وتطلق هذه الكلمة منفردة على المسجد الحرام بمكة المكرمة أول بيت وضع للناس فيعرف باسم الحرم المكي أو المسجد الحرام[٢].

وهناك أيضاً كما يذكر الشاعر الحرم المصري الذي جدده خديو مصر والذي شمله بالترتيب والتنسيق ثم وصف المنشأة بكونها "بيت سعد" بني كباب من أبواب الخير من قبل الحاكم.

نقوش أخرى خاصة بإمام أهل السنة الإمام الشافعي وذلك بمسجده الذي يحمل اسمه بشارع الإمام الشافعي بمدينة القاهرة. حيث جاء النص التأسيسي للجامع أعلى عتب المدخل المشترك بين بيت الصلاة والقبة الضريحية في لوحة مستطيلة اشتملت على ثلاثة سطور أفقية منفذة بالخط الثلث بأسلوب الحفر البارز نصها كالتالي:

١- قد أمر بإنشاء هذا المسجد الأنيق للشافعي ذو العلم العميق خديو مصر الأفخم.

٢- محمد توفيق

٣- وقد اتم العمل واتقنه حسب الأمر سعادة علي باشا رضى مدير الأوقاف في سنة ١٣٠٩ هجرية كتب عبد الكريم وهبة[٣].

وترجع أهمية هذا النص إلى أنه يشير إلى أمر الخديوي توفيق والذي جاء اسمه صراحة منفرداً يشغل سطراً بكامله بإنشاء مسجد فخم أنيق لإمام أهل السنة الإمام الشافعي ووصفه بكونه ذوعلم عميق بالإضافة إلى مدير الأوقاف آنذاك الذي تولى أعمال البناء وكذلك الكاتب الذي سجل النص وتاريخ الإنشاء بالتقويم الهجري.

هناك أيضاً النقوش الأثرية بمسجد السيد نفسية ابنة الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهها زوجة إسحاق بن جعفر الصادق بن حسن الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب،والتي أجمع أهل السيرة أنها توفت بالقاهرة بعدما قدمت إليها هى وزوجها بخلاف غيرها من الشريفات العلويات حتى أن البعض يطلق عليها نفيسه المصرية وتوفت في شهر رمضان سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م ودفنت في منزلها الذي هو محل قبرها وضريحها الآن[٤] حيث يقع الجامع والضريح بحي الخليفة بمدينة القاهرة.

امر بإنشاء المسجد الحالي الخديو عباس حلمي الثاني، وجاء النص التأسيسي للمسجد ليدون ذلك على لوحة رخامية مستطيلة نفذ عليها سطراً واحداً نقش بالخط الثلث

(١) سامي محمد نوار، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية، ص٤٨.
(٢) فوزية مطر ، تاريخ الحرم المكى، ص ٣٤.
(٣) عبد الوهاب عبد الفتاح، الطراز المعماري، ص٢٣٠.
(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٥٦.

بأسلوب الحفر البارز ليسجل هو الآخر مدى اهتمام حكام هذه الأسرة بإقامة منشآت خاصة بأصحاب النسب العلوي والنص جاء كالتالي:

١- أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك خديو مصر عباس حلمي الثاني الأفخم أدام الله أيامه سنة ١٣١٤(١).

نقوش أثرية وعمائر أخرى تحمل مسمى حكام أسرة محمد بصيغة اسم المفعول المشتق من المسمى كما سبق وذكرنا، ويتصدر الخديوي توفيق وعباس حلمي الثاني قائمة هذه المنشأت فدائماً وأبداً ترتبط العمارة بأهواء الحاكم وميوله وطباعه بالإضافة إلى الإطار السياسي لتلك الفترة الزمنية(٢).

حيث جاء مسمى "التوفيقى" المتخذ من اسم الخديوي توفيق ليطلق على مسجديين أحدهما بمدينة بورسعيد مركز محافظات القنال، والممر الرئيسي للتجارة بين الشرق والغرب آنذاك، حيث يقع الجامع بحي العرب أحد أحياء مدينة بورسعيد حيث يعتبر الجامع التوفيقي إحدى شياخاته(٣) حيث جاء النص التأسيسي للجامع داخل لوحة رخامية بارزة تعلو المدخل الرئيسي بالواجهة الرئيسية للمسجد منفذه بخط الثلث في بيتين من الشعر نقرأ فيهما

خـــديو مصـــر أبـــو العبـــاس حاكمهـــا
تـــــدوم دولتـــــه بـــــالعز والجـــــاه
بنـــــي ســـــعيد بنـــــور مـــــا نؤرخـــــه
قـــد أنشـــأ الجـــامع التـــوفيقي لله ١٣٠٣

اشتمل النص السابق على اسم المنشئ الخديوي "توفيق" الذي نسب إليه بناء الجامع ومسماه "التوفيقي" المشتق من اسم الحاكم، كما لقب بأبو العباس نسبه إلى ابنه الأكبر عباس حلمي الثاني. كما أشار النص إلى وظيفة المنشأة "جامع" وتاريخ الإنشاء المدون بالتقويم الهجري(٤).

ويأتي مسمى التوفيقي مرة ثانية ليطلق على أحد مساجد ومعالم مدينة حلوان الأثرية حيث يقع "المسجد التوفيقي" بحلوان بشارع أحمد أنسي شيده الخديوي توفيق وأوقف عليه أوقافاً كثيرة(٥).

---

(١) مجدي عبد الجواد علوان، عمائر الخديوي عباس حلمي الثاني الدينية ، ص١٦٨.
(٢) أمل محمد فهمي، أمراء الأسرة المالكة، ص٣٧.
(٣) بدر عبد العزيز بدر، "الطرز المعمارية لمدينة بورسعيد في عصر أسرة محمد علي"، ص٦٦٩.
(٤) سهير جميل إبراهيم الدهشان، الآثار الإسلامية الباقية بشرق الدلتا، ص٢٠٥.
(٥) عبد المنصف سالم نجم، حلوان مدينة القصور والسرايات، ص٨٩.

حيث يتصدر كتلة المدخل الرئيسي والذي يشغل الطرف الغرب من الواجهة الشمالية لوحة تأسيسية من الرخام مزينة ببيتين من الشعر يتضمنان اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء:

شـــا البنـــا مليـــك مصـــر الأصـــفى توفيـــق باشـــا ذو العلـــي والســـودد

نـــور علـــى نـــور بـــدا تاريخـــه انشأ الخديو أعلى مسجد سنة ١٣٠٧

كما ألحق بالمسجد سبيل وكتاب ولكنهما داخل مبنى مستقل حيث تشغل واجهة السبيل الركن الشمالي الغربي من المبني فتح بها ثلاث نوافذ يعلو النافذة الثانية منها نص كتابي منظوم في بيتين من الشعر نصهما:

خـــديو مصـــر قـــد انشـــأ ســـبيلا زلال صـــــفائه فيـــــه الـــــدواء

شـــفى ظمـــأ الأنـــام فـــأرخوه ســـبيل مـــاؤه عـــذب شـــفاء

أما الكتاب فنصل إليه من المدخل بالجهة الغربية للمسجد وهى كتلة بارزة داخل حجر غائر يعلوها عقد نصف دائري ثم لوح رخامي منقوش عليه نص تأسيسي بهيئة بيتين من الشعر نقرأ فيهما:

بنـي مكتـب العرفـان توفيـق عصـرنا وتوجـــه عـــزًا بإحســـان جـــودة

فنـــادي لنـــا عـــز الفـــلاح مؤرخـــاً لمكتـــب توفيـــق جمـــال ســـعوده[١]

وبعيداً عن النقوش الأثرية يذكرنا هذا الجامع بالمجموعات المعمارية التي ظهرت وساد استخدامها في العصر المملوكي بشقيه البحري والجركسي والتي حملت أكثر من وظيفة معمارية حيث ضم الجامع ومسماه الوظيفة الدينية والتعليمية والخيرية وهى تزويد المارة بالماء العذب اللازم للشرب وذلك بإنشائه السبيل الملحق بالجامع والذى وصف الشاعر ماؤه بكونها "زلال – صفاء – شفاء" والتي روى بها ظمأ الأنام وعطشهم حيث حملت النقوش الأثرية في كلماتها هذه الوظائف المزدوجة في مبنى واحد مسجد – سبيل – كتاب مع ذكر اسم المنشئ بصور شتى سوأ بالتصريح أو الإشارة أو الصفة.

نموذج أخير لهذه المنشآت التي حملت أسماء حكام أسرة محمد علي وهو المسجد "العباسي" بمدينة الإسماعيلية حيث يقع المسجد بشارع العباس أيضاً بتلك المدينة

(١) عبد المنصف سالم نجم، حلوان مدينة القصور، ص١٠٢.
إبراهيم إبراهيم عامر، العمائر الدينية، ص١٥٥- ١٦١.

الخالدة ويرجع إنشاؤه إلى عهد الخديوي عباس حلمي الثاني حيث يتصدر النص التأسيسي للمسجد عتب المدخل الرئيسي بالواجهة الرئيسية منفذاً على لوحة رخامية مكتوباً بخط الثلث بالحفر البارز مشيراً إلى اسم الخديو عباس حلمي الثاني كمنشئ للمسجد وتاريخ الإنشاء بالتقويم الهجري ثم الدعاء له بدوام الحال ونصه كالتالي:

انشئ هذا المسجد في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني ادام الله أيامه سنة ١٣١٣[١].

- نقوش خاصة بنساء الأسرة العلوية تحمل دلائل ورسائل إعلامية مفادها:

١. حرص نساء الأسرة العلوية على المشاركة في البناء وبذل المال في سبيل ذلك مع اختلاف وظائف المنشأة وتنوع مركزها الإداري.

٢. بعض هذه المنشآت خاصة بالأولياء الصالحين كمظهر من مظاهر التقرب إلى العامة.

٣. الحرص على عدم التصريح باسمائهن تماشيًا وإظهارًا لالتزامهن بنظرة المجتمع المتحفظة بظهور اسم المرأة والاكتفاء بتاء التأنيث أو نسبتها إلى زوجها الحاكم، أو أحد أبنائها من الرجال.

تأتي النقوش الأثرية بواجهة جامع بشتاك "مصطفى فاضل" ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م والذي ينسب إنشائه إلى ألفت هانم قادن والدة مصطفى فاضل باشا وزوجة إبراهيم باشا نموذج للنقوش الأثرية الخاصة بنساء الأسرة العلوية والتي تصدرت المدخل الرئيسي مدونه بالخط الفارسي المذهب مكونه من اثني عشر بيت شعري نقتبس منها هذه الأبيات:

بنت مسجدًا شكرًا ويا حبذا الشكر ... على نعم حلت وليس لها حصر

وجادت ببذل المال حبا لربها ... كريمة كف وصفها الجود والبشر

قصدت به الصدر المؤيد مصطفى ... هو الفاضل الباشا به افتخر العصر

لها الخير في الدارين من حيث أنها ... أبانت مصلى فيه قد رفع الذكر

وما هو إلا مسجد مثل روضه ... بأشجارها نور وأغصانها نور

لقد أسست ذات العفاف بناءه ... على دائم التقوى فتم لها الجبر[١]

(١) مجدي علوان، عمائر عباس حلمي الثاني، ص٢٨٨.
أحمد صلاح عبد السلام، النصوص التأسيسية، ص١٣١.

يبدو عدم التصريح متعمدًا باسم السيدة ألفت هانم قادن من قبل الشاعر في القصيدة رغم أنها من بذلت المال وهى من أمرت ببنائه واستكملت البناء "وبنت مسجدًا "جادت ببذل المال" وخصصت صفة البناء "مسجدًا" "مصلي قد رفع فيه الذكر" "وما هو إلا مسجدًا" واكتفى الشاعر بالإشارة إليها بالنعوت "كريمة كف – ذات الكفاف" أو نسبتها إلى نجلها الصدر المؤيد أو الدعاء لها "الخير في الدارين" – "دام لها الأجر" – "ووصفها الجود والبشر".

كما حملت الكتابات أهمية هذه المنشأة الدينية والروحية عند زوارها وتشبيهها بروضة من رياض الجنة بأشجارها وأغصانها، وكيف أن البناء قائم على التقوى راجيه منه المنشئة مرضاه الله تعالى.

كما شيدت خوشيار هانم والدة الخديو إسماعيل والزوجة الثالثة لإبراهيم باشا وإلى مصر وابن محمد علي والتي توفيت ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م مسجدًا لأحد الأولياء الصالحين وهو سيد غازي بإحدى المدن التي تحمل نفس المسمى والتابعة لمحافظة كفر الشيخ، نفذ النص التأسيسي للمسجد على لوحة رخامية مستطيلة تصدرت المدخل الرئيسي للمسجد منفذة بالخط الثلث بالحفر البارز بهيئة بيتين من الشعر نصهما:

قـد شـيدت أم الخـديوي جامعًـا للسـيد الغـازي عزيـز الجـار
غنـى بـه طيـر الختـام مؤرخـًا عرج بردة جامع الأنوار ١٢٨٤زهدي

ويشيرالنص إلى منشئة المسجد وذلك بالإشارة إليها بتاء التأنيث "شيدت" ونسبتها إلى ولدها "أم الخديوي" كما احتوى النص على اسم من شيد المسجد من أجله وهو "محمد بن غازي" وهو أحد الشيوخ الصالحين وله مقام وشهرة بالمدينة المسماه باسمه، كما يشير النص إلى وظيفة المنشأة وهى "جامع" بالإضافة إلى التقويم الهجري للمنشأة وهو ١٢٨٤هـ.

كما ألحقت المنشئة بالجامع قبة تقع على يمين الداخل من المدخل الرئيسي للجامع خاصة بهذا الولي الصالح، وسجل ذلك على لوحة رخامية بيضاوية الشكل منفذة بالخط الثلث بأسلوب الحفر البارز في خمسة أسطر نصها:

١- بنت أم الخديوي مقام صدق

٢- إلى الغازي من فرط المحبة

٣- فقلت لبلبل الأفراح أرخ

٤- حوت كل الكرامة وهى قبة

(١) عاطف عمر أحمد حسن، الكتابات الشعرية، ص٢٢٠.

٥- ١٢٨٤[١]

حمل النص أيضًا الإشارة إلى المنشئة بناء التأنيث "شيدت" ونسبتها إلى ولدها "أم الخديوي" ووظيفة المنشأة "مقام" ومن خصصت له "الغازي" ثم التقويم الهجري ١٢٨٤ ولكن ما نلاحظه في النص تسجيل المحبة بل شدتها من قبل المنشئة لهذا الولي الصالح الذي نسب إليه الكثير من الكرامات كأنها تقول لمريديه أنها تشاركهم حبه وصدق كراماته. وهؤلاء يمثلوا مستقبلي الرسالة الإعلامية نضيف إلى هؤلاء المصلين والزائرين وغيرهم.

مثال أخير لمنشأة ذات وظيفة أخرى وهى وظيفة خيرية لمد المارة والمحتاجين بالماء العذب اللازم للشرب، وهى الكتابات الأثرية بسبيل أم محمد على الصغير ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م ويقع بميدان رمسيس بمدينة القاهرة، انشأته زيبا قادن زوجة محمد على الكبير ووالدة محمد على الصغير، وهو من الأسبلة ذات الهيئة المقوسة ذات الأربعة شبابيك والتي نفذت كتاباته داخل مستطيل مقسم لثماني مناطق أفقية بالجانب الأيسر من الواجهة نتناول منهاهذه الاسطرالخمس:

خليله محيي قطر مصر محمد ... علي مليك العصر رب المحامد
ووالدة الشهم الأمير محمد علي ... ايثل المجد عن خير والد
بنت لعباد الله في حب بعلها ... وواحدها اسنى سبيل المقاصد
فمن مائه الصافي كما شاء ... يرتوي بعافيه في جسمه كل وارد

وتبنى باخلاص عليها فإنها بنته لإحياء نفس غاد ووافد

وهناك نقش اخر بالجانب الأيمن من الواجهة نقرأ فيه:

من أجل محمد علي باشا قدمت الأم عملاً يستحق التقدير

لقد وجهت تفكير ابنها نحو الطريق المستقيم فليقبل الله ﷻ هذا العمل العظيم

كلما استمر هذا العمل الخيري في العطاء فإن حياتها ستطول بأمر الله لقد وجهت الأم كل سخائها وحماسها نحو هذا السبيل فليكأفها الله بدخولها الجنة فقد بينت أن النيل ينبع من الجنة[٢].

حملت الكتابات الأثرية السابقة والواردة بسبيل محمد علي الصغير بمدينة القاهرة الكثير من الرسائل الإعلامية لمنشأة معمارية ذات وظيفة خيرية هى في حد ذاتها رسالة إعلامية تحمل الخير والمحبة والعطاء من صاحبها للغير فهى تمثل حاجة الإنسان للماء العذب سر الحياة.

(١) أحمد محمد صلاح الدين، النصوص التأسيسية بالعمائر الدينية، ص٧٢- ٧٣.
(٢) عادل شريف علام، "سبيل أم محمد على الصغير"، ص٢٨١.

حيث يبدو أيضًا التجاهل المتعمد لذكر المنشئة ونسبتها إلى زوجها "خليله محيي" - "بعلها" وابنها "ووالدة الشهم" بل أشارت الكتابات إلى الحب والعلاقة الطبية التي جمعها بزوجها في أكثر من موضع بشكل صريح "من أجل محمد علي باشا" – "حب بعلها".

والإكثار من الاشارة اليها بتاء التأنيث "عليها – فإنها – بنته – حياتها - يكأفيها وكذلك استخدام مصطلح الأم "وجهت الأم".

تم الإشارة في أكثر من موضع الى وظيفة المنشأة واعتبارها سبل المقاصد ويقصد الخير والمنفعة للغير بتوفير الماء اللازم لكل وارد ووافد، والتي هي بمثابة إحياء للنفس البشرية واعتباره عمل خيري سيكأفيها الله عليه بدخولها الجنة والدعاء لها بطول العمر الذي ربطه الكاتب باستمرار بقاء هذا العمل الخيري، كما حملت الكتابات صورة صادقة لدور الأم في التوجيه والإرشاد كإحدى نساء الأسرة العلوية المثل والقدوة لبقية النساء في المجتمع المصري التي وجهت ابنها نحو الطريق المستقيم وهذا العمل الخيري الذي رجت أن يتقبله الله ﷻ واعتبار ما قدمته الأم عملاً يستحق التقدير والثناء عليه مع الإشارة إلى الرابطة القوية التي ربطت بين الأم وابنها. فالكتابات لم تقتصر على كونها حاملة لرسائل اعلامية سياسية من احدى نساء الاسرة العلوية بقدر ماهى صورة صادقة لجانب من جوانب الحياة الاجتماعية فى المجتمع المصرى خلال القرن التاسع عشر الميلادى.

- حملت النقوش الأثرية السابقة بين كلماتها الكثير من الرسائل الإعلامية السياسية المختلفة المضامين والمعاني والتي أرسلت من قبل الحاكم بشكل غير مباشر إلى جماهير شعبه كما استعرضنا، ولكنها في نفس الوقت تحمل رسالة إعلامية مشتركة فجميعها كما هو معروف نصوص تأسيسة لمنشأت معمارية مختلفة الوظائف ومع هذا فإنها تمثل في نفس الوقت إحدى شارات الحكم والسيادة والتي يعلن فيها الحاكم إعتلائه لعرش البلاد واستمراره في حكمها. فالأمر إذن لم يقتصر على كون النقش نص تأسيسي بقدر ما هو رسالة إعلامية تفيد تولي واستمرار الحاكم في حكمه. بل الحرص الشديد على أن تكون تلك النصوص التأسيسية بخارج المنشأة بل جاء أغلبها متصدراً المدخل الرئيسي لتحقيق أكبر قدر من الانتشار للرسالة الإعلامية والغرض الدعائي الإعلامي. بل شملت هذه النقوش أعمال التجديد والترميم والإضافة سوأ كانت معمارية أو لإحدى قطع أثاث المسجد والتي استخدم فيها الكاتب مصطلحات شتى لتحقيق هذه الرسالة الإعلامية نتناول نماذج اخرى للتدليل بالاضافة الى ما سبق:

وهو قد وجه همته إلى عمل الخيرات

لوجه الله ورضاه فأنشأ جامع عظيم البنيان

وشــرف هــذا المكــان الجــامع الــذي

مكانـــــه رأس الـــــوادي ســـــنة ١٢٣٦

وتمثل الابيات السابقه النص التأسيسي لمسجد محمد على بمحافظة الإسماعيلية بمنطقة تل البلد بمدينة التل الكبير وهو ما تبق من الجامع(١).

ويشير النقش إلى المنشئ صراحة بعبارة "فأنشاء" أي من قام بالإنشاء وتاريخ الإنشاء ١٢٣٦ ومكان المنشأة.

بينما يشير النص التالي إلى عهد الإنشاء وهو النص التأسيسي للمسجد الأحمدي بمدينة طنطا ونصه:

أنشئ هذا المسجد المبارك في عهد خديو مصر عباس باشا الأول ١٢٦٧(٢).

ويلاحظ في النقش تسجيل عهد الحاكم وتاريخ الإنشاء دون الإشارة إلى كونه المنشئ صراحة بل اكتفى الكاتب بالإشارة إلى فترة حكم الحاكم بكلمة "عهد" مصحوبه بلقبي "خديو – باشا".

بينما جاء النص التأسيسي لمسجد البوصيري بمدينة الإسكندرية ١٢٧٤هـ يحمل كلمة "حسب أمر" تسبق مسمى صاحب الأمر "محمد سعيد باشا" ما يعني أن إنشاء المنشأة لابد ان بسبقه إصدار أمر من الحاكم بالإنشاء مع ذكر اسم المنشئ صراحة منفرداً وتاريخ الإنشاء كذلك. بل الحرص على تكرار الإنشاء والتجديد واسم المنشئ صراحة في أكثر من موضع ونقش ونصه:

محمد سعيد باشا دام ظله العالي ١٢٧٤

فقد أعاد بناء جامع الخير الأبصيري

لقد وفق صاحب الخيرات الحسان في إعادته جديد

انشأ سعيد باشا العظيم جامعاً غالياً بلا مثيل.

ونلاحظ في كلمات النقش أن الكاتب استخدم جميع مصطلحات البناء سوأ كان إعادة "اعاد بناء" أو تجديد "وإعادته جديد" أو إنشاء "انشأ" مصحوبة باسم صاحب البناء سوأ بالإشارة أوبالتصريح.

بينما جاءت كلمة انشأ صراحة في النص التأسيسي لجامع صالح أبو حديد بمدينة القاهرة مصحوبة باسم المنشئ صراحة ولقبه وتاريخ الإنشاء ونصه:

انشأ افندينا الخديوي مسجداً

(١) أحمد صلاح عبد السلام، النصوص التأسيسية، ص١٥.
(٢) أحمد صلاح عبد السلام، النصوص التأسيسية، ص ٤٥.

مــن ســعد إســمعيل هــذا المســجد ١٢٨٠

كذلك جاء النص التأسيسي لمسجد السيدة زينب بمدينة القاهرة تحمل كلمة "أمر" أيضاً تسبق كلمة بإنشاء لتأكيد المعنى السابق وهو إصدار الأمر من قبل الحاكم "بالإنشاء" مع الإشارة إلى اسم المنشئ صراحة "محمد توفيق" منفرداً بسطر من السطور الأربعة للنص وكذلك تاريخ الإنشاء ونصه:

١- أمر بإنشاء هذا الجامع الشريف والمقام الزينبى المنيف خديو مصر المفخم.

٢- محمد توفيق

٣- ١٣٠٢هـ

بينما يبدو مصطلح جديد للبناء اضافته النقوش الأثرية بالمسجد التوفيقي بحلوان وهى كلمة "شاد" المتخذه من التشييد مصحوبه باسم المشيد صراحة وتاريخ الإنشاء ونصه:

شـــاد البنـــا مليـــك مصـــر الأعظـــم

توفيق باشا ذو العلي والسودد سنة ١٣٠٧

بينما يبدو في النص التأسيسي للمسجد العباسي بمدينة الإسماعيلية حرص الكاتب على تسجيل عصر الإنشاء وسنة الإنشاء دون الإشارة صراحة ان المنشئ هو الحاكم الذي جاء اسمه كاملاً مع الدعاء له بدوام حكمه وأيامه ونصه:

أنشئ هذا المسجد في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني

ادام الله أيامـــــــــه ســـــــــنة ١٣١٣

ويؤكد هذا ما ورد بالنص التأسيسي لمسجد السيدة نفيسه بمدينة القاهرة والذي ينسب لنفس الحاكم عباس حلمي الثاني ونصه:

أمر بإنشاء هذا المسجد المبارك خديو مصر عباس حلمي الثاني الأفخم

ادام الله أيامـــــــــه ســـــــــنة ١٣١٤

حيث نلاحظ أن الإنشاء سبقه "أمر" صدر من الحاكم للتنفيذ مع ذكر اسم الحاكم كاملاً مصحوباً بلقب "الأفخم" مع الدعاء بدوام حكمه وأيامه وسنة الإنشاء ١٣١٤.

كذلك تأتي النصوص التأسيسية للتحف المنقولة وأثاث المسجد من أهم النقوش التي تعتبر بمثابة إعلان لتولية الحكم والاستمرار فيه من قبل الحاكم. ويأتي الخديو عباس حلمي الثاني متصدراً قائمة حكام أسرة محمد علي استخداماً لهذه الرسالة الإعلامية نذكر من هذه النقوش على سبيل المثال وليس الحصر ما يلي:

١- النقش التأسيسي لمنبر مسجد الأمام الشافعي بمدينة القاهرة والوارد أعلى بابي الروضة الأيمن والأيسر:

- أنشئ في عصر خديو مصر عباس حلمي الثاني ١٣١٠
- أنشئ في عصر عباس حلمي الثاني خديو مصر [١].

٢- النص التأسيسي لمنبر مسجد السيدة نفيسة بمدينة القاهرة والوارد على بابي الروضة الأيمن والأيسر:

- انشأ [كذا] في عصر عباس حلمي الثاني خديو مصر[٢]

- أنشئ في عصر خديو مصر عباس حلمي الثاني ١٣١٤.

٣- النص التأسيسي لمنبر السيدة سكينة بمدينة القاهرة والوارد على بابي الروضة الأيمن والأيسر:

- انشئ هذا المنبر في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني سنة .... كتبه مصطفى الحريري.

- انشئ هذا المنبر في عصر خديوي مصر عباس حلمي الثاني ١٣٢٢[٣]

٤- النص التأسيسي لمنبر مسجد الرفاعي بمدينة القاهرة والمدون داخل حشوة مستطيلة أعلى باب المقدم من الداخل نصه:

- تم إنشاء هذا المنبر بأمر الجناب العالي الحاج عباس حلمي الثاني خديو مصر الأفخم سنة ١٣٢٩ هجرية.

- على الطراز الذي انشأته عليه دولتو المرحومة خوشيار هانم أفندي سنة ١٢٩٥ وتوفيت قبل إتمامه[٤].

٥- النص التأسيسي لمنبر المسجد العباسي بمحافظة المنوفية والمنفذ أعلى بابي الروضة الأيمن والأيسر وهما نصان متشابهين تماماً من حيث الشكل والمضمون ونصه:

عز لمولانا خديو مصر عباس حلمي الثاني ١٣٢٩هـ[٥] حملت النقوش التأسيسية السابقة والتي دونت على مجموعة من المنابر الموجودة بمساجد موزعة على أقسام مصر الإدارية لتحقيق اكبر انتشار للرساله الاعلامية، الإشارة إلى فترة حكم الخديوي عباس حلمي الثاني حيث نلاحظ حرص الكاتب تسجيله لفترة حكمه وولايته متدرجة مسبوقة بكلمة عصر. مع شيوع استخدام مصطلح "إنشاء" بالرغم من أن

(١) أحمد صلاح عبد السلام، النصوص التأسيسية، ص٢٣٢.
(٢) مجدي عبد الجواد علوان، عمائر عباس حلمي الثاني، ص١٧٤.
(٣) مجدي عبد الجواد علوان، عمائر عباس حلمي الثاني، ص٢٠٥.
(٤) إبراهيم إبراهيم عامر، العمائر الدينية، ص١٣٦.
(٥) مجدى عبد الجواد علوان، عمائر عباس حلمي الثاني، ص٢٧٣.

المنابر تعتبر من التحف المنقولة وأثاث المساجد والتي تعتبر عملاً ينسب إلى صانعه ومجموعة الحرفين المشاركين في الصناعة مع التكرار المتعمد لمسمى الحاكم وسنة الإنشاء. باستثناء منبر مسجد الرفاعي الذي صاحب الإنشاء أمر أصدره الجناب العالي، يتبعها مسمى الحاكم مسبوقاً بلقب "حاج" وهو من الألقاب القلائل التي تلقب بها حكام أسرة محمد على[١] مع الإشارة أن الإنشاء جاء وفقاً للطراز والتصميم الذي وضعته خوشيار هانم زوجة إبراهيم باشا وأم الخديو إسماعيل جد الخديوي عباس حلمي الثاني "الحاكم" المدون اسمه بما يعني أنه يرسل رسالة إعلامية مفادها أنه من اهتم واستكمل هذا العمل الذي وضعت لبنته الأولى السيدة خوشيار هانم وعلى نفس الطراز والتصميم الذي أرادته بالرغم من مضي أكثر من عشرين عاماً على ذلك.

ثم يأتي النص التأسيسي لمنبر مسجد العباسى بمحافظة المنوفية ليضييف لنا صياغة جديدة للإشارة إلى فترة حكم الخديو عباس حلمي الثاني حيث اكتفى الكاتب بالدعاء له بالعزة مصحوباً بلقب مولانا وهو من الألقاب التي اختص بها عباس حلمي الثاني بالإضافة إلى الخديو إسماعيل وذلك في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ويأتي النص ليؤكد هذا الاختصاص[٢].

وأخيراً يأني النصان التأسيسيان لمسجدي المنتزه بمدينة الإسكندرية وفاروق الأول بمحافظة الشرقية ليضيفا لنا صياغة جديدة في تدوين النصوص التأسيسية في منتصف القرن العشرين حيث حملت كلمات النصان مصطلحات جديدة لم نعهدها أو نألفها في تدوين النصوص التأسيسية وأن ظلت الإشارة إلى فترة تولية الحاكم هى القاسم المشترك ونصهما:

النص الأول:

١- مسجد المنتزه

٢- تم وضع حجر الأساس

٣- في يوم السبت جمادي الأول سنة ١٣٦٤هـ[٣]

٤- الموافق ١٣ مايو سنة ١٩٤٥هـ

النص الثاني:

١- مسجد فاروق الأول

٢- تفضل حضرة صاحب الجلاله الملك المعظم

(١) مصطفى بركات، الألقاب والوظائف، ص٣٠٦.
(٢) مصطفى بركات، الألقاب والوظائف، ص٣٠٦.
(٣) احمد صلاح عبد السلام، النصوص التأسيسية، ص١٨٩.

٣- فاروق الأول

٤- أيده الله

٥- فافتتح هذا المسجد

٦- لتأدية فريضة الجمعة المباركة فيه

٧- يوم ١٠ جمادي الأولى سنة ١٣٦٥هـ

٨- ١٢ أبريل سنة ١٩٤٦م[١]

أشار النص الأول إلى وضع حجر الأساس وليس استكمال البناء وذلك بالتقويمين الهجري والميلادي تفصيلياً "اليوم – الشهر – السنة" ونسبة مسمى المسجد إلى المنطقة التي يوجد بها وليس لمسمى الحاكم أو المنشئ بالرغم من أن وضع حجر الأساس كان في فترة تولية فاروق الأول.

أما النص الثاني فقد حمل مسمى الحاكم صراحة الذي تفضل بافتتاحه وتأدية صلاة الجمعة المباركة به وتدوين تاريخ ذلك بالتقويمين الهجري والميلادي تفصيلياً أيضاً "اليوم – الشهر – السنة"

(١) أحمد صلاح عبد السلام، النصوص التأسيسية، ص١٩٠.

الخاتمه ونتائج البحث:

١-ارتبطت السياسه باللغه منذ اقدم العصورفاللغه لسان السياسه والسلاح الذى توظفه لخدمه مصالحها.
٢-الاعلام و الاتصال السياسى من اقدم انواع الاتصالات التى عرفتها الحضارات القديمة حيث يعتبر الاعلام التسجيلى المدون على الحجر اقدم انواع الاوعية التسجيليه الاعلامية.
٣-تعتبر النقوش الاثريه من اهم وسائل الاتصال الغير مباشر والتى لعبت دور الوسيط بين الحاكم و جمهور شعبه نظرا لما حملته من دلالات اعلامية سياسيه.
٤-تعتبر النقوش الاثرية قراءة حقيقية فى فكر الحاكم واتجاهاتة و نظامه السياسى.
٥-عكست النقوش الاثرية الكثير من الاوضاع السياسيه والاقتصادية والاجتماعية فى المجتمع المصرى فى القرن ١٣هـ/١٩م.
٦-جاءت النقوش الاثريه باختلاف مدلولاتها من حاكم الى اخر من حكام اسرة محمد على انعكاس للمراحل المختلفه التى تمر بها الدول الحاكمة و نقصد هنا مراحل القوة – الضعف – الانهيار بل جاء بعضها ترجمه للطبيعة الانسانيه لهؤلاء الحكام.
٧-اظهرت الدراسه الصورة الحقيقه لاوضاع المرأة فى المجتمع المصرى انذاك والدور الذى لعبته نساء الاسرة العلويه بوجه خاص .
٨-اكدت الدراسه على استمرار دور القصيدة الشعريه كاحدى وسائل التأثير الجماهيرى ودورها فى احداث الكمال السمعى والبصرى لزوار المنشأت المعماريه باختلاف وظائفها.
٩-اظهرت الدراسه ان المجتمع المصرى فى القرن ١٣هـ/١٩م كان عبارة عن نسيج واحد ضم كافة الطوائف الفكريه والمذهبيه والتى استوعبها و تقبلها حكام هذة الاسرة بالرغم من اصولهم و جذورهم غير المصريه والعربيه.
١٠-اكدت الدراسه ان الارتباط الوثيق بين العمارة والسلطه السياسيه سيظل و سيبقى وذلك فى ظل الاطار الزمانى والمكانى لهذة السلطة و ما يصاحب هذة السلطة من مؤثرات وانماط وطرز معماريه جديدة وتأتى النقوش الاثريه لتؤكد هذا الارتباط.
١١-تعتبر الدراسه دعوة من الباحثه للخروج من التفسيرات التقليدية لمضامين النقوش الاثريه لمدلولات اوسع وارحب.

- المراجع العربية:

١- ابراهيم أحمد زين الدين: حياة السيدد البدوى ، طنطا١٩٥٠ م.
٢- أمل محمد فهمى: أمراء الاسرة الملكة ودورهم فى الحياة المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.
٣- جرجى زيدان: تاريخ اداب اللغة العربية، تعليق شوقى ضيف، دار الهلال القاهرة، د.ت.
٤- حسن الباشا: الألقاب الإسلامية فى التاريخ و الوثائق و الآثار، القاهرة ١٩٨٩م .
٥- حسن عماد مكاوى: الاعلام ومعالجه الازمات، الدار المصريه البنانية ٢٠٠٥م.
٦- سامى محمد نوار: الكامل فى مصطلحات العمارة الاسلامية من بطون المعاجم اللغوية، دار الوفاء الاسكندرية ٢٠٠٣م.
٧- سعد آل سعود: الاتصال والاعلام السياسى، دار الكتاب الحديث ٢٠١٠م.
٨- سهيلة زين العابدين حماد: الاعلام فى العالم الاسلامى، مكتبة العبيكان ٢٠٠٣م.
٩- عامر النجار: الطرق الصوفية فى مصر، دار المعارف ١٩٩٥م.
١٠- عبد الرحمن الرافعى: عصر محمد على، دار المعارف ١٩٨٢م.
١١- عبد الطيف حمزة: الاعلام والدعاية، دار الفكر العربى ١٩٨٤م.
١٢- عبد المنصف سالم نجم: حلوان مدينة القصور والسرايات، زهراء الشرق القاهرة ٢٠٠٦م.
١٣- على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ، دار المعارف ١٩٦٧م.
١٤- محمود ابراهيم: الاعلام فى مصر القديمة، القاهرة ١٩٩٠م.
١٥- محمود عبد الرؤوف كامل: علم الاعلام والاتصال بالناس، مكتبة نهضة الشرق ١٩٩٥م.
١٦- محمود عكاشة: خطاب السلطة السياسى، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى ٢٠٠٥م.
١٧- مصطفى بركات: الالقاب والوظائف العثمانية ، دار غريب، القاهرة ٢٠٠٠م.
١٨- ناظم خالد الشمرى: الاعلام و الدعاية ،دار الفكر العربى ١٩٨٤م.

-الرسائل الجامعيه:

١- ابراهيم ابراهيم عامر: العمائر الدينية بمدينة القاهرة فى عصر اسماعيل وتوفيق وعباس حلمى الثانى، مخطوط رسالة دكتوراة كلية الاداب جامعة طنطا ١٩٩٣م.
٢- أحمد محمود دقماق: مساجد الاسكندرية الباقية فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر بعد الهجرة، مخطوط رسالة ماجستير كلية الاثار جامعة القاهرة ١٩٩٥م.
٣- أحمد محمد صلاح الدين: النصوص التأسيسية بالعمائر الاسلامية الدينية فى عهد محمد على وأسرتة بالقاهرة و الوجة البحرى ، مخطوط رسالة دكتوراة كلية الاداب جامعة طنطا ٢٠١١م.
٤- اسماء شوقى أحمد دنيا: جامع محمد على باشا بقلعة القاهرة ، مخطوط رسالة ماجستير كلية الاثار جامعة القاهرة ٢٠٠٤م.
٥- سهير جميل ابراهيم: الاثار الاسلامية بشرق الدلتا منذ الفتح العثمانى حتى نهاية القرن التاسع عشر، مخطوط رسالة دكتوراة كلية الاثار جامعة القاهرة ١٩٩٥م.
٦- عبد الوهاب عبد الفتاح حجاج :الطراز المعمارى و الفنى لمساجد القاهرة فى القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى، مخطوط رسالة ماجستير كلية الاثار جامعة القاهرة ٢٠٠٦م.
٧- عاطف عمر أحمد حسن: الكتابات الشعرية على مساجد و بيوت القاهرة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى، مخطوط رسالة دكتوراة كلية السياحة و الفنادق جامعة الاسكندرية ٢٠١٤م.
٨- مجدى عبد الجواد علوان: عمائر الخديوى عباس حلمى الثانى الدينية الباقية بمدينة القاهرة والوجة البحرى، مخطوط رسالة دكتوراة كلية الاداب جامعة طنطا ٢٠٠٣م.
٩- ياسر كريم محمد: منشأت السادات الوفائية بالقاهرة ، مخطوط رسالة ماجستير كلية الاداب، جامعة طنطا ٢٠٠٤م.

Media and Political Communication in the Light of the Archaeological Inscriptions of the Muhammad Ali Dynasty (Alawiyya Dynasty)

"Content-based Study"

"new vision"

Prof.Sahar Mohammed Al Qatri

Abstract:

Media is the means of informing and telling; which also means communication. Media could be defined as the entire communicative activities which aim at supplying the audience with the whole set of facts, news and information on the state of events. The communication process involves the following principal components; the sender, the message, the medium, the receiver and the echo.

The sender is the source of the media message; while the message is the form and content of the communication; and the medium is the method through which this message is being transmitted, and it can be in a written or an audible form.

The receiver on the other hand could be a single individual, or a group of people, or the mass of a whole nation. As for the echo, it is the reactions taken as a result to receiving the communicative message itself.

Media and political communication are social phenomena that came into existence with the emergence of the first forms of human agglomeration and on basis of the relationship between language and politics. Language has forever been the mother tongue of politics and the channel that carries its ideas and realizes its intended effects on the masses. Language is unarguably one of the most powerful effective tools when dealing with the populace. The people are introduced to the ideology of their leaders through their language. Moreover, some

even go far as to assume that each political system has its own special dictionary of terms.

In addition to the aforementioned, we would like to add that there are two kinds of communication; direct communication which has no intermediate, and this is the kind of communication prevalent at our modern age; and indirect communication which happens through an intermediate, with the latter being our focus here in this study. The intermediate medium we are dealing with in this specific kind of communication is "archeological inscriptions" and the kind of political messages it delivers. In the light of these definitions in the realm of media and communication, we shall deal with a selection of archeological inscriptions from the area of Muhammad Ali Dynasty (Alawiyya Dynasty), and decipher its political messages and concepts which constituted one of the most important tools used by the rulers of this dynasty in influencing the masses.